ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي

ابن الجوزي نموذجا

د. سليمان بن ناصر العبودي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة

snobodi@uqu.edu.sa

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة نقد الخطاب الوعظي، وتدور مشكلته وقضاياه حول رصد الظاهرة التاريخية للوعظ وحركة نقده التي بدأت منذ زمن الصحابة إلى زمن ابن الجوزي، ويركز البحث على شخصية ابن الجوزي وخطابه الناقد للوعاظ والقصاص، ويجتهد في تحليل هذا الخطاب النقدي، ومن أبرز النتائج التي انتهى إليها أن من الأسباب الباعثة على نقد الوعاظ والقصاص لدى ابن الجوزي ضعف أهليتهم مع القبول الاجتماعي لهم دون تمحيص.

كلمات مفتاحية: الوعظ، الوعاظ، القصاص، المذكرين، ابن الجوزي.

The Phenomenon of Criticizing Preachers and Storytellers in Islamic Heritage

Ibn al–Jawzi as a Model

Dr. Sulaiman bin Nasser al-Aboudi

Assistant Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm al-Qura University, Makkah

snobodi@uqu.edu.sa

Abstract:

This research examines the phenomenon of criticizing preaching discourse. Its central problem and issues revolve around tracing the historical phenomenon of preaching and the movement of its criticism, which began in the time of the Companions and continued until the time of Ibn al-Jawzi. The research focuses on the figure of Ibn al-Jawzi and his critical discourse on preachers and storytellers, striving to analyze this critical discourse. One of the most prominent conclusions reached is that among the reasons motivating Ibn al-Jawzi's criticism of preachers and storytellers was their lack of competence coupled with their social acceptance without scrutiny.

Keywords: preaching, preachers, storytellers, reminders, Ibn al-Jawzi

ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي - ابن الجوزي نموذجا

د. سليمان بن ناصر العبودي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد/

فقد حفظ الله تعالى هذا الدِّين، وكان من أسباب حفظِه التي قدّرها فضلا منه ونعمةً أن سخر له علماء محققين، وأثباتًا مدققين، يميزون المبتدع والدخيل عليه، وينفون عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين، كما قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨١]، ومن هنا وقع اختياري على كتابة هذا البحث، وقد حاولت فيه إبراز لجهود العلماء في صيانة العقل المسلم، وجعلته تحت عنوان: ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي ابن الجوزي نموذجًا.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كثرة العبارات النقدية في التراث الإسلامي للوعاظ، ووجود ما يمكن أن يسمى ظاهرة علمية تشكلت في مؤلفات مفردة أو فصول ضمنية في كتب تناولت الوعاظ بالنقد، فالبحث في سبيل إيجاد أصول وقواعد كلية ترد إليها العبارات النقدية المختلفة.

ويتفرع عن مشكلة البحث الأسئلة التالية:

١. ما أهمية الوعظ في المجتمعات الإسلامية المبكرة؟

٢. ما الأسباب الداعية لنقد الوعاظ في التراث؟

٣. هل كان الخطاب النقدي للوعاظ يتخذ شكلا واحدًا من الرفض أو القبول؟ أم ثمة تفصيل وموقف معتدل بين الرفض والقبول؟

٤. ما حدود الوعظ المطلوب؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول ظاهرة من الظواهر الثقافية التي ظهرت في مرحلة تاريخية مبكرة، ولم تنقطع عن الظهور إلى يوم الناس هذا، ويمكن إجمال أسباب الاختيار فيما يلي:

١) غموض الموقف الشرعي من الوعظ والتذكير والقص لدى كثير من الناس بسبب كثرة النقد.

٢) حاجة الناس إلى الوعظ الخالي من المحظور الشرعي والباعث على الحركة الفاعلة في المجتمع.

٣) وجود نصوص نقدية مبكرة ظاهرها التعارض حيال الوعاظ والقصاص.

أهداف البحث:

أما أهداف البحث فتتلخص فيما يلي:

١) إظهار عناية العلماء برصد الظواهر الثقافية التي تؤثر في عقول الناس وأسباب ذلك التأثير.

٢) بيان الجهود المعرفية للعلماء في ترشيد حركة الوعظ والتذكير عبر العصور.

٣) إبراز موقف ابن الجوزي من الوعظ والتذكير، ورسم معالم المنهج المعرفي في النقد.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث فيما بين يديه من المراجع المتاحة على دراسة علمية سابقة تناولت تحرير موقف ابن الجوزي على وجه الخصوص والاستقلال من الوعاظ والقصاص.

وإنما وقف على عدة بحوث تتعلق بالوعظ على وجه العموم، ويأتي ذكر ابن الجوزي ضمنًا، أو ببحث عن علم الوعظ عند ابن الجوزي دون تركيز على نقد ظاهرة الوعظ وترشيدها، فمن ذلك:

١) علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي للدكتور أحمد محمد زايد الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، والحقيقة أن هذا البحث يلتقي مع بحثي في

مبحث واحد، فقد تناولت موضوع النقد بشكل أوسع، وبشواهد أكثر، وبزيادة في التحليل، ولم أتمكن أساسًا من الوقوف على هذا البحث إلا بعد تمامِ بحثي.

٢) مواعظ ابن الجوزي، دراسة تحليلية فنية، للدكتور عرفة حلمي عباس، نشر مكتبة الآداب.

٣) رسالة بعنوان الخطاب الوعظي النبوي دراسة تحليلية بلاغية إعداد الطالب أحمد آدم أحمد محمد وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد جامعة أم درمان.

٤) رسالة بعنوان مدرسة التفسير الوعظي المعاصر دراسة ونقد إعداد جواد إبراهيم مصاروة وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين في جامعة الخليل.

٥) منهج السلف في الوعظ، للدكتور سليمان العربي بن صفية الجزائري، دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.

ونحو ذلك من البحوث والرسائل التي لم تفرد موقف ابن الجوزي من الوعظ والوعاظ والقصاص.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي الذي يقوم على جمع الجزئيات والمعطيات ثم التفسير والحكم والملاحظة وفرز الظواهر الكبيرة وبيان عللها وأسبابها(١).

حدود البحث الموضوعية: هذا البحث يركز النظر على مادة نقد الوعاظ في التراث الإسلامي، وشرح مضامين ذلك النقد، مع تناول مؤلفات ابن الجوزي التي تضمنت صلة مباشرة بهذا الموضوع، وذلك نحو:

- كتاب القصاص والمذكرين، لابن الجوزي.
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي.
- صيد الخاطر، لابن الجوزي.

(١) تاج ينظر: كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ (٦٤).

خطة البحث:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد ويشتمل على:

- التعريف بمفردات البحث.
- التعريف بابن الجوزي وشخصيته النقدية.

المبحث الأول: ظاهرة الوعظ ونقدها في التراث.

المطلب الأول: دور الوعاظ والقصاص في الحياة الثقافية.

المطلب الثاني: ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي.

المبحث الثاني: نقد الخطاب الوعظي والقصصي عند ابن الجوزي.

المطلب الأول: نقد السمات الفنية.

المطلب الثاني: نقد المضامين المعرفية.

المبحث الثالث: أسباب نقد الوعاظ والقصاص عند ابن الجوزي.

المطلب الأول: ضعف الأهلية

المطلب الثاني: القبول الاجتماعي.

الخاتمة: وفيها ملخص لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ثم قائمة المراجع.

ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي - ابن الجوزي نموذجا

د. سليمان بن ناصر العبودي

التمهيد

التعريف بالنقد:

أكثرُ مَا ورد استعمال النقد في لغة العرب بمعنى تمييز الشيء وفحصه بدقة، وإظهار حسنه من رديئه، وكشف جميلِه مِن قبيحه، فالنقد للأموال على سبيل المثال هو (تمييز الدارهم وإخراج الزَّيفِ منها، وكذا تمييز غيرها، وقد نَقَدَها يَنْقُدُها نَقْدًا، وانتَقَدَها، وتَنَقَّدَها، إذا ميَّزَ جيِّدَها من رديئِها)[٢]، فكل تمييز لشيء وفحصه وكشف بهرجِهِ هو نقدٌ له بالمعنى اللغوي، وهذا التعريف اللغوي يتصل اتصالا بمفردة النقد الواردة في هذا البحث، فالمراد بالنقد في هذا السياق البحثي إبرازُ معالم النقد التاريخي للخطاب الوعظي والقصصي وتحليلِه، فهذا النقد التاريخي للخطاب الوعظي لم يكن مباينًا لغاية الوعظ والقص والتذكير، وإنما كانت غايته إبراز جوانب القوة وما يضادُّها مما يفوت به الغرض الصحيح لغاية الوعظ.

وهو نقد يتجاوز النقد الأدبي الذي يقتصر في جملته على (استعراض القطع الأدبية، والحكم عليها بالجودة أو الرداءة، ومعرفة القواعد التي بها نستطيع الحكم على تلك القطع، فالنقد الأدبي بهذا المفهوم يجعل البلاغة أساسًا من أسسه، أو جزءًا لا غنى عنه من أجزائه)[٣]، فالمراد بالنقد هنا حركة نقد الخطاب الوعظي التي ظهرت في مرحلة مبكرة في التاريخ الإسلامي، وتحليل بنية الخطاب النقدي، وبيان الأسباب الكامنة خلف هذه المقولات النقدية للوعاظ والقصاص عبر التراث الإسلامي.

---

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م)، (٩: ٢٣٠).

(٣) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت ١٤٢٩ هـ)، الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م (٤٥).

التعريف بمصطلح الوعاظ والقصاص:

جرت عادة العلماء والمصنفين عطف مفردة الوعظ على مفرديّ القصِّ والتذكيرِ، وهي مصطلحات مختلفة في الظاهر لكنها متقاربة من جهة المعنى، وتضاف غالبًا إلى قائل واحد، فأما الوَعظ، فهو نصحٌ مشوب بالتذكير بالعاقبة، ويمكن أن يقال بأنه (تخويف يرقُّ لهُ القلب)(٤)، فهو ليس أمرًا مجرَّدًا وإنما هو أمر يخاطب العقل والوجدان، وأما القص فهو الفعل المنسوب إلى من يقص القصص للذكرى والاتعاظ والاعتبار، وأما التذكير فهو تعريف الخلق وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم من نعمٍ ظاهرة وباطنة، وحثهم على الشكر بالقول والجوارح.

وكلُّ هذه المصطلحات الثلاثة يرد عليها شيء من التشابه، ففيها قدر من التداخل فيما بينها، وكما يقول ابن الجوزي: (**لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص، وتذكير، ووعظ. فيقال: قاص، ومذكر، وواعظ. فالقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص. وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين. وهذا لا يذم لنفسه، لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر، وعظة لمزدجر، واقتداء بصواب لمتبع**)(٥). وكثير من الناس عبر التراث كانوا يطلقون إحدى هذه الألفاظ ويقصدون بها المعنى الجامع فيما بينها كما يقول ابن الجوزي: (وقد صَار كثير من النَّاس يطلقون على الوَاعِظ اسم القَاص. وعَلى القَاص اسم المذكّر، وَالتحقِيق مَا ذكرنا)(٦)، ولكن اندثرت في الأزمنة المتأخرة لفظة القاصّ ولفظة المذكّر، وبقيت لفظة الواعظ تعبّر عن المعنى المشترك لهذه الألفاظ.

فالمراد بأن الأفعال التي ارتبط بها الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعقوبة والمثوبة إنما هي مواعظ، ولذلك يقول الرازي في بيان مناسبة تسمية التكاليف الشرعية مواعظ: (اعلم أن المراد من قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ

(٤) القصاص والمذكرين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: د. محمد لطفي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م (١٥٧-١٥٨).

(٥) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (١٥٧-١٥٨).

(٦) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (١٦٠).

بِهِۦ﴾ [سورة النساء:٦٦]، أنهم لو فعلوا ما كلفوا به وأمروا به، وإنما سمي هذا التكليف والأمر وعظا لأن تكاليف الله تعالى مقرونة بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، وما كان كذلك فإنه يسمى وعظا)[٧].

التعريف بالتراث:

التراث بمعنى الميراث وهو ما يخلفه الإنسان من تركة وراءه سواء كانت هذه التركة مالا أو علمًا، والوارث بمعنى الباقي، ولذلك جاءت التسمية من كون هذا الميراث أو التراث وكذلك الوارث باقيًا، والمقصود هنا في هذا السياق ما خَلَّفَه العلماء المسلمون عبر التاريخ من علومٍ وما تركوه من معارف، فإن هذا التراث الواسع الكبير الذي ما زال المطبوع منه بعض المخطوط، والمطبوع والمخطوط بعض ما وصل إلينا، فعند (المسلمين من العلوم الإلهية الموروثة عن خاتم المرسلين ما ملأ العالم نورا وهدى)[٨]، فيستعرض البحث إشارات مختلفة من التراث الإسلامي، مع التركيز على موقف ابن الجوزي بالنقل والتحليل.

التعريف بابن الجوزي وشخصيته النقدية.

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابن الجوزي عالم، متفنن، فقيه حنبلي، إليه المنتهى في رئاسة الوعظ والتذكير، ألَّف في فنون كثيرة كالتفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والتاريخ، والطب، وغير ذلك.

اشتغل ابن الجوزي بالوعظ وهو صغير جدًا. وكان عالما موسوعيًّا يدلي بدلوه في سائر علوم الشريعة فقد (برز في كثير من العلوم، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحوا من ألفي مجلدة، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق شأوه في طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبة كلامه،

(٧) مفاتح الغيب، الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١م (١٠: ١٧٣).

(٨) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م (٢: ٨٤).

وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة)[٩].

كتبه ومؤلفاته:

له كتب كثيرة جدا في سائر الفنون الشرعية، وتعدادها يعسر، لكن من مصنفاته: المغني في علم القرآن، وزاد المسير في علم التفسير، وتذكرة الأريب في شرح الغريب، وكشف مشكل الصحيحين، والموضوعات، والأحاديث الرائقة، والمنتظم في أخبار الملوك والأمم، والمدهش، وتلبيس إبليس، وصيد الخاطر، والأذكياء، وكتاب الحمقى، والمغفلين، وهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر، فمؤلفاته غزيرة للغاية، ولو أراد الباحث استقصاءَها لوجد عَنَتًا بالغًا ومشقة، حتى قال الحافظ الذهبي وهو الذي خَبَرَ تراجم العلماء والمؤلفين: (ما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل)[١٠]، وقال ابن تيمية في بيان غزارة مصنفاته: (كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أره)[١١]، وهذا عددٌ كبير لا يكاد يصل إليه أحدٌ من المؤلفين.

المآخذ على كتبه:

اشتهر عند العلماء والمدوِّنين سيرة ابن الجوزي الكلامُ عن المآخذ على بعض كتاباته رحمه الله، فعلى تبحُّره في العلوم وتفنُّنِه الذي لا ينكر، إلا أن بعض العلماء المحققين المتقدمين كانوا يشيرون لكثرة الأوهام فيما تَرَكَه من كتبٍ ورسائل، فقد قيل لأبي محمد بن الأخضر: ألا تجيب ابنَ الجوزي عن بعض أوهامه؟ قال: (إنما يتتبع على من قلَّ

(٩) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م (١٦: ٧٠٧).

(١٠) تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م (٤: ٩٣).

(١١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (١ :٤١٥).

غلطُه، فأما هذا فأوهامه كثيرة، أو نحو هذا)[١٢]. وربما ذكر بعضهم أن علَّة أوهامه وعدم إتقانه هي في هذا التفنن في العلوم، فكان تفنُّنه سببًا لفوات التحرير، فقد ذكر الحافظ الذهبي أنه (مع تبحر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه، وسعة دائرته، لم يكن مبرِّزًا في علم من العلوم، وذلك شأن كل من فرق نفسه في بحور العلم)[١٣]. ورغم ما تتابع عليه العلماء من الإشارة إلى هذه الأوهام في طيَّات كتبه ورسائله فليس سببُها -والله أعلم- ضعفَ إدراكٍ أو قلَّةَ بضاعة، ولكن يمكن إرجاعُ جملتِها إلى سببين:

الأول: كثرة التآليف: فطالما كانت الكثرة مظنة الوهم، والغزارة قرينة قلَّة التحقيق، وذلك لمزاحمة زمن التدقيق، قال الحافظ الذهبي: (وذلك لأنه كان كثير التأليف في كل فن فيصنف الشيء ويُلقيه، ويتكل على حفظه)[١٤]، وذكر أنه (صنَّفَ شيئًا لو عاش عُمُرًا ثانيا، لما لحق أن يحرِّرَه ويتقنه)[١٥].

الثاني: طريقته التي اعتمدها في التصنيف: فقد ذكروا في ترجمته أنه إذا أعجبه مصنف في باب من العلم، فإنه يبادر إلى أن ينسج على منواله وإن لم يبلغ درجة التصنيف في ذلك الفن، فقد ذكر الحافظ ابن رجب بأنه (إذا رأى تصنيفا وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل؛ لقوة فهمه، وحدَّةِ ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه). ولهذا نُقِل عنه قوله عن نفسه: (**أنا مرتِّب ولستُ بمصنِّف**)[١٦].

(١٢) تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (٤٢: ٣٠٢).

(١٣) تاريخ الإسلام، الذهبي (١٢: ١١١١).

(١٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (١٢: ١١١٣).

(١٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (٢١: ٣٧٨).

(١٦) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٢:٤٨٨).

ولتضافرِ هذين السببين وغيرهما؛ فإن أشهر كتب ابن الجوزي التي بقيَت في أيدي الناس ليست المصنفات التي وضعها في الفقه والحديث وأشباه ذلك، وإنما اشتهرت للغاية رسائله النافعة التي رقمها في الوعظ والسلوك كصيد الخاطر، وتلبيس إبليس، والمدهش، ومناقب الإمام أحمد، ونحوها.

ابن الجوزي الواعظ:

كان المجال العلمي الذي لا يُنازَعُ فيه ابن الجوزي على الإطلاق هو فَنَّ الوعظ والقصّ والتذكير، فهو إمامه الذي لا يبارى، وفارسه الذي لا يجارى، ولذلك أطبقت كلمات العلماء والمؤرخين على الإشارة إلى هذا الجانب المبهِر في شخصيَّتِه، وما من أحدٍ يترجم له إلا أشار إلى عميق تأثير مواعظه وخطبِهِ، بل لا يكاد يذكر أحدٌ الوعظَ المؤثِّر إلا تجده يعرّج على ذكر ابن الجوزي رحمه الله فكأنه صار هو علمًا على الوعظ والتذكير المؤثر عبر العصور، قال ابن خَلِّكان: (كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ)[١٧]، وقال ابن رجب: (الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب..، شيخ وقته، وإمام عصره)[١٨]. قال الذهبي مبيّنًا مكانته في الوعظ: (كان رأسا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهًا، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه)[١٩]، وقد أثنى ابن تيمية على مصنفات ابن الجوزي في الوعظِ فقال: (له في الوعظ وفنونه ما لم يصنف مثله. ومن أحسن تصانيفه: ما يجمعه من أخبار الأولين، مثل المناقب التي صنفها، فإنه ثقة، كثير الاطلاع على مصنفات الناس، حسن الترتيب والتبويب، قادر على الجمع والكتابة، وكان من أحسن

(١٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (٣: ١٤٠).

(١٨) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ)، وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة (١: ٣٩٩).

(١٩) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢١: ٣٦٧).

المصنفين في هذه الأبواب تمييزًا)[٢٠]، وهذه المشاركة في هذا الفن تَمْنَح نقدَ ابنِ الجوزي مكانةً مضاعفة، فهو خبير هذا المجال الذي ينتقده، وليس مجرَّد منظِّرٍ من الخارج.

شخصيته النقدية:

لم تستأثر طائفة الوعَّاظ والقُصاص بنقدِ ابن الجوزي، فقد كان –مع حباه الله من مواهب معرفية مختلفة ومشاركة في علوم كثيرة– يتمتع بعقلية كثيرة التأمل عميقة النظر دقيقة الالتقاط حسنة التعبير، وقد كان كتابه "صيد الخاطر" وَرِيْثَ هذه التأملات النفسية في المجتمع وأطياف الناس من حوله، وكان يحاكمها إلى ما يعتنقه من فكر، وما ينتحله من اعتقاد، وما يستحضره من نصوص.

وكان كثيرًا ما يرسل نَقَداتٍ معرفيةً مباشرةً لعددٍ من الطوائف الفكرية والمعرفية، فعلى سبيل المثال ألَّف رسالة مفردةً في نقد بعض المشتغلين في الحديث، وهي مطبوعة باسم آفة أصحاب الحديث والرد على عبد المغيث[٢١]، وتتضمن هذه الرسالة فصولا في آفات المحدثين المتأخرين من مثل آفة التصحيف والتحريف، وآفة الإعراض عن فقه الحديث، وآفة الإكثار من الرواية وتعدد الطرق بلا دراية ونحو ذلك من الآفات.

كما أنه ردّ مرارًا على الفقهاء المتأخرين ووجَّه لبعضهم نقدات كثيرة في مواضع عديدة من كتبه، من ذلك إشارته إلى جهلهم بالسنن والآثار، فعلى سبيل المثال حينما ساق مسألة تحريم قول القائل: ملك الملوك. قال ابن الجوزي: **(قد صحَّ في الحديث ما يدل على المنع، ولكن الفقهاء المتأخرين عن النَّقْلِ بمعزل)**[٢٢].

---

(٢٠) ذيل طبقات الحنابلة (٢: ٤٨٩).

(٢١) آفة أصحاب الحديث والرد على عبد المغيث، جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق فريق من الباحثين، دار الألوكة للنشر، الطبعة الأولى، ذو القعدة (١٤٣٦هـ- ٢٠١٥).

(٢٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (١٥: ٢٦٥).

كما أنه في كتابه "تلبيس إبليس" وجَّهَ نقداتٍ مختلفة لكافة الفرق والمذاهب سواء كانت فرقًا إسلامية منتسبةً للقبلة أو خارجةً عنها، فردَّ فيه –على سبيل المثال لا الاستقصاء– على أصحابِ الديانات اليهود والنصارى والصابئة والمجوس وجاحدي البعث والقائلين بالتناسخ من الفرق الكفرية، كما ردَّ فيه على الخوارج والرافضة والصوفية من الفرق البدعية المنتسبة لأهل القبلة، كما رد فيه على الفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والوعاظ والقصاص، وجرّد قلمه العذب في بيان آفاتهم وكشف ما يلقيه الشيطان من تلبيس عليهم، فهذا دأب ابن الجوزي في كتبه ومؤلفاته، لا يتردَّد في الردِّ على كلِّ من رأى أنه جَنَحَ وخالفَ الكتاب والسنة مع اختلاف درجات المخالفة. وهذه مجرّد أمثلة وبراهين على عقليته النقدية للتقريب والاعتبار لا للحصر والاستقصاء.

المبحث الأول

ظاهرة الوعظ ونقدها في التراث

المطلب الأول: دور الوعاظ والقصاص في الحياة الثقافية.

لم يخلُ عصر منذ صدر الإسلام الأول من الوعظ والوعاظ، وكانت نصوص الشريعة كلها إما وعظًا باعتبار العموم حسب ما ذكرنا من المفهوم، وإما تحث على الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب وترشد إليه باعتباره أداةً فاعلة في إصلاح حال المسلم ودفعه ليكون لبنةً صالحة في مجتمعه، ومن ثمَّ تحفيزه الذاتي نحو العمل الإيجابي الذي تصلح به آخرتُه، ففي مجالس الوعظ أثر بالغ في ترقيق للقلوب وتهذيب للنفوس لا يكاد يوجد مثله في مجالس الفقه والحديث.

وهكذا كانت (مجالس النّبيّ ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب؛ إمّا بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدّين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ ويقصّ، وأن يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة)[٢٣]، وهكذا كانت مجالس الصحابة من بعده، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى هذا العصر، ظل الوعظ عبر العصور ينتدب إليه طائفة من الناس. وكما قال ابن عابدين: (التذكير على المنابر للوعظ والاتعاظ سنة الأنبياء والمرسلين)[٢٤].

وفي أوائل القرن الثاني وما بعده لم يقتصر الحال على وجود الوعظ في المجتمعات الإسلامية، وإنما برزت للوعظ سمات خاصة، وكثرت حلقاته، وأصبح حرفةً، فيروي لنا عبد الله بن عون طرفًا من هذه التحولات على صعيد الوعظ والقصص، فيقول: (أدركت هذا المسجد مسجد البصرة وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه إلا حلقة واحدة تنسب إلى مسلم بن يسار وسائر المسجد قصاص)[٢٥]. فقد أمسى للوعظ رواد وأتباع وقاصدون، ومع هذه الغزارة والكثافة

(٢٣) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ت: طارق بن عوض الله، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ. (٣٣).

(٢٤) حاشية ابن عابدين، دار الفكر، الطبعة الثانية: ١٣٨٦هـ (٦: ٤٢١).

(٢٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ (٥٨: ١٣٠).

في الحضور برزت مثالب الوعظ وآفاته بكل وضوح، وهذه الأجواء هي التي نشأت معها بعض العبارات النقدية من أئمة السلف للوعاظ كما سيتضح.

وقد كانت في السالف للخلفاء والأمراء خطب رنانة وكان لها أثر كبير في إرساء قواعد الحكم وفي تثقيف الناس وتعليمهم، ولكن بعد ذلك تأخرت هذه الخطب عن تسنم هذا التأثير البالغ وانفسح المجال لصالح الوعاظ والقصاص، فالخطب الدينية (إن كانت قد ضعفت على ألسنة الخلفاء فإنها نشطت نشاطًا عظيمًا في المساجد؛ فقد كانت تعقد حلقات للوعاظ والقصّاص، وكان الناس يتحلّقون من حولهم فيما يشبه احتفالات الأعياد)[٢٦]، وهكذا كان الوعظ فاعلا في حياة الناس الثقافية ومؤثرًا فيها للغاية.

وبلغ من تأثير الوعاظ والقصاص في تلك المدة أن كان بعض الأئمة يرشد الناس إلى مجالسهم، فقد قال المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: يعجبني القصاص لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قلت لأبي عبد الله: فترى الذهاب إليهم؟ فقال: أي لعمري إذا كان صدوقًا، لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قلت له: كنت تحضر مجالسهم أو تأتيهم؟ قال: لا. قال: شكا رجل إلى أبي عبد الله الوسوسة. فقال: عليك بالقُصَّاص، ما أنفع مجالسهم! وقال في رواية جعفر بن محمد: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق)[٢٧]، وهذا النص مع إفادته سعة تأثير القصاص في ذلك العصر، فهو يفيد أيضًا من جهة أخرى أن العلماء لم يكن موقفهم مباينًا للوعاظ والقصاص مباينةً تامة، وإنما كانوا ينتقدون ألوانًا من الوعظ دخل عليها شيء من التحريف والتضليل.

الوعظ باعتباره فنًّا:

ولعظيم أهمية الوعظ كان العلماء يعدُّونَه فنًّا قائمًا بذاته ويتلقَّونه تلقيًا عن الأكابر بسندٍ متصل، ويستفيضون في ذكر شروطه وموانعه وبواعث تأثيره كما يقول الذهبي: (الوعظ فن بذاته يحتاج إلى مشاركة جيدة في العلم، ويستدعي

(٢٦) تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م (٤: ٥٢٧).

(٢٧) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ). الناشر: عالم الكتب (٢: ٨٢).

معرفة حسنة بالتفسير وإكثارا من حكايات الفقراء والزهاد. وعدته التقوى والزهادة، فإذا رأيت الواعظ راغبا في الدنيا قليل الدين، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظ مفوه قد أبكى وأثر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا، ومتى كان الواعظ مثل الحسين والشيخ عبد القادر الجيلاني – رحمهما الله تعالى – انتفع به الناس)[٢٨].

وكما جاء في سيرة ابن الجوزي رحمه الله بأنه (قرأ الوعظ على الشريف أبي القاسم)[٢٩]، وهكذا اتصلت سلسلة الإسناد في هذا الفنّ العزيز، فقيل في ترجمة بعضهم بأنه (أخذ الوعظ عن أبي الفرج ابن الجوزيّ)[٣٠]، وبهذا يعلم أن الوعظ فن قائم بذاته يتلقاه كابرًا عن كابر.

المطلب الثاني: ظاهرة نقد الوعاظ والقصاص في التراث الإسلامي.

مع تنامي تأثير القصاص والوعاظ في القرن الثاني والثالث الهجري وما بعد ذلك كما مرت الإشارة إليه، ظهرت بجلاء بعض المساوئ والمثالب في الخطاب الوعظي، وظهر بالمقابل خطاب مناهض ناقد للوعاظ والقصاص، فقد كان بعض العلماء والأئمة يوجهون انتقاداتهم بكل وضوح، وظهرت عبارات مبكرة زمنيًّا وهي في غاية الشدة في كشف السلبيات.

وهذه المقولات يمكن أن توصف بلا إشكال بأنها ظاهرة علمية، فهي ليست مجرد عبارات منقولة عابرة، وإنما هي بنية خطاب متكامل، استتبع حالة توجس اجتماعي من الوعظ والقص والتذكير، وتتجلى ملامح ذلك الخطاب من خلال ملاحظة عدة أمور:

١. كثرة النصوص والمقولات التي تنتقد بشكل مباشر الخطاب الوعظي والقصصي.
٢. مراعاة اللغة المستعملة في النقد، فهي لغة لافتة في وضوحها وبيانها عن مرادها.

(٢٨) زغل العلم، أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: مكتبة الإسلامية.
(٢٩) تاريخ الإسلام، الذهبي (١٢: ١١٠١).
(٣٠) تاريخ الإسلام (١٣: ٦٩٩).

٣. وجود المصنفات المفردة لهذا الغرض.

وكان من مشهور مثالبهم شيوع الأحاديث الباطلة على ألسنة الوعّاظ والقصاص، فقد قال الإمام أحمد على سبيل المثال: (أكذب الناس على رسول الله ﷺ القُصاص)[٣١]، وهي كلمة بالغة في ذم هذا الجانب فيهم. ولا شك أن الإمام أحمد –بالنظر إلى مجموع المنقول عنه وعن غيره– يقصد طائفةً منهم، إذ لو قصد جميعهم لما أرشد إليهم.

وهذا الجانب من شيوع الأحاديث الباطلة على ألسنتهم ذكره غيرُ الإمام أحمد، فقد ذكر ابن قتيبة أن الحديث النبوي إنما يدخله الشوب والفساد، من وجوه ثلاثة، وذكر منهم (القصاص على قديم الأيام، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم: بالمناكير، والغريب، والأكاذيب من الأحاديث)[٣٢]، وقد أشرك ابن قتيبة القصاص مع الزنادقة في سياق واحد بجامع فساد النقل للأحاديث النبوية.

ومن جوانب نقد القصاص والوعاظ في تلك المرحلة المبكرة خلوُّ الخطاب الوعظي من متينِ العلم وأصولِهِ، واقتصاره على القشور، فحصل بذلك استمالة للعوام وصرفًا لهم عن العلوم النافعة، وهم من وراء ذلك يحسبون أنهم يحصِّلون العلوم الصحيحة، واستتبع ذلك أن انتدب لهذه الحرفة من لم يُعرف بعلمٍ أو تحقيق، فحصل بمجموع هذا مواتًا للعلوم الصحيحة، وذهابًا للمعارف النافعة، فقد ذكر أبو قلابة عبارة لافتة في هذا السياق، وهي قوله: **(ما أمات العلم إلا القُصَّاص، يجالس الرجلُ الرجلَ القاصَّ سنةً فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلى العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء)**[٣٣].

وهذه الإشكالية إنما تبرز إذا تصدى للوعظ من لا يحسن غيره من العلوم، فيجب ألا (يخفى عليك أن رتبة القُصَّاص والوُعَّاظ دونَ رتبة الفقهاء والمتكلمين ما داموا يقتصرون على مجرد القَصَص وما يَقرُب منها)[٣٤].

(٣١) الحوادث والبدع، أبو بكر الطرطوشي المالكي، ت علي حسن، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ)، (ص١١٢).

(٣٢) تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، (ص٤٠٤).

(٣٣) حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد الأصبهاني، مطبعة السعادة، عام النشر ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

(٣٤) جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م (٤٠).

وأما إذا وَعَظَ العالم وقصّ الصدوق بالقدر المناسب فهذا مِن أنفع ما يكون من المطالب.

ومن مساوئ الخطاب الوعظي التي تكرر ذكرها هي الولع بالغرائب، وهذا غالبًا ما يكون مقارنًا للعدول عن العلم الصحيح النافع، فطائفة من الوعاظ (**عدلوا عن المنهج الواجب في الوعظ، وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله تبارك وتعالى، فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعدل طلبًا للإغراب**)[٣٥].

هذا وقد ظهرت مصنفات مفردة في نقد الخطاب الوعظي وبيان مثالبه، سواء منها يتعلق بالحديث النبوي، أو بالعموم، فمن ذلك:

- القصاص والمذكرين، لابن الجوزي.
- أحاديث القصاص لابن تيمية.
- تحذير الخواص من أحاديث القصاص للسيوطي.

وأما ما تضمنته الكتب مما لم يُفرد بعنوان رسالة خاصة في هذا الغرض، فهذا كثير للغاية.

(٣٥) أصناف المغرورين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، الناشر: مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر (٤٦).

المبحث الثاني

نقد الخطاب الوعظي والقصصي عند ابن الجوزي

المطلب الأول: نقد السمات الفنية.

من الأمور اللافتة تاريخيا أن البلاغة بجانبها التطبيقي إنما ظهرت بجلاء على أيدي الوعاظ والقصاص في المراحل الزمنية المبكرة في التاريخ الإسلامي، وكان أمام هؤلاء تحدٍّ كبير وهو أن يتخذوا لأنفسهم طريقًا وسطًا بين اللغة العامية المبتذلة، وبين لغة الأعراب التي تتضمن ما لا يفهمه أهل المدن، وبذلوا وسعهم في تحلية خطابهم بالمحسنات البديعية الفنية التي تؤثر في النفوس، فهؤلاء الوعّاظ والقصّاص استطاعوا أن يفترعوا لأنفسهم (أسلوبًا يخاطبون به جميع الطبقات في المراكز المتحضرة التي يختلط فيها العرب بالأعاجم، وقد أقاموه على الازدواج والترادف وتحلية الكلام بالأخيلة والمقابلات، مع العناية بدقائق المعاني وفتق الحيل للتعبير عن خفيّاتها. وقد أخذوا أنفسهم بتعليم شباب البصرة والكوفة كيف يحسنون الخطابة والمناظرة وكيف يتقنون إصابة الحجة، وبذلك كانوا أول من مهّد لوضع قواعد البلاغة العربية)[٣٦]. وفي هذا النص ما يشير إلى العناية التامة بالسِّمات الفنية من تلك الطبقة المتقدمة من الوعاظ والقصاص، وهذه النواحي الشكلية في غاية الأهمية، ولذلك أفاض في ذكر جوانب منها ابن الجوزي رحمه الله.

فمن الأمور الفنية التي ذكرها العناية بتحسين الكلام وتنميقه ليعظم أثره في النفوس، وأرشد إلى التوصل إلى ذلك إما بحفظ خطبة كاملة أو في إنشائها إن كانت له صناعة في الإنشاء، فيقول ابن الجوزي: **(إن كانت له صناعة في إنشاء الخطبة، أو كان يحفظ خطبة فيذكرها، ولا بأس، فإن الكلام المستحسن له وقع في النفوس)** ثم ينتقد ابن الجوزي من يزهد في ذلك من الوعاظ وغيرهم، فيقول: **(ولا يلتفت إلى متزهد جاهل يقول: هذا تصنع، فإن التصنع المباح لاستجلاب القلوب لا يذم. وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له: ثابت بن قيس، وشاعر**

(٣٦) تاريخ الأدب العربي، المؤلف: الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م (٧: ٢).

هو حسان. فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه .. ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة، عرف موقع الفصاحة من القلوب)[٣٧].

وابن الجوزي مع إرشاده وإشارته إلى ذلك يتحاشى المغالاة في الزخارف التي ألفها الأعاجم، فقد أرشد إلى بعض الكتب ثم قال: (بعض هذه الكتب تغني الواعظ وتكفيه طول عمره، ولا يحتاج معه إلى زخارف قد ألفها الأعاجم أكثرها كذب وهذيان)[٣٨]، فالمغالاة في الزخارف والتكلف في طلب الأسجاع يؤدي لنقيض المقصود من حسن التأثير، ولذلك انتقد بعض العلماء الوعاظ الذين (اشتغلوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها، وأكثر همهم في الأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال)[٣٩].

ومن الأمور الفنية اللافتة التي ذكرها ابن الجوزي بعض الإشارات النفسية العميقة، فمنها ما يتعلق بارتقاء المنبر، والفرش عليه، واستعداد الخطيب وأهبَتَه، وما لذلك من أثر بالغ على النفوس البشرية، فتكون مهيأةً منفرِجَةً لتلقي الإنذار والتخويف، فيقول: (أما المنبر فلا بأس بارتقائه، فقد ارتقاه رسول الله، وأما الفرش عليه فلا بأس به، فإنه يوجب نوع احترام في النفوس، ألا ترى إلى أهبة الخطيب ودقه المنبر بالسيف، فإنه يزعج النفوس فتتأهب لتلقُّفِ الإنذار)[٤٠].

ومن الأمور الفنية التي انتقدها إطالة مجلس الوعظ، وتكراره في الأسبوع أكثر من مرة، فإن وجد رغبةً لدى الناس جعلها مرتين، ولا يزيد على ذلك في حال من الأحوال، فيقول: (لا ينبغي للواعظ أن يطيل المجلس. فقد قال أحمد بن حنبل: لا أحب للقاص أن يملَّ الناس. فلا يطيل الموعظة إذا وعظ .. وليقتصر على مجلس واحد في الأسبوع، فإن رأى الهمم متشوقة إلى الزيادة جعلها مجلسين ولا يزيد على هذا)[٤١].

---

(٣٧) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٦١).
(٣٨) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٢٧٢).
(٣٩) أصناف المغرورين، الغزالي (٤٥).
(٤٠) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٦٠).
(٤١) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٦٩).

وقد انتقد ابن الجوزي بعض السمات الفنية لدى بعض الوعاظ والقصاص، فمن ذلك إلباس الخرق الملوَّنة فقال: (فأما إلباس المنبر الخرق الملونة فإني أكرهها)[٤٢]. ومن ذلك المبالغة في التزيّن الذي يكون فتنة للواعظ ولغيره مما يخرج به عن مقصود الوعظ الصحيح، فيقول: (بعضهم يتزين بالثياب وحسن الحركات فيميل إليه النساء)[٤٣]، وبهذا يعلم شمولية نقد خطاب ابن الجوزي للوعاظ، وتضمن خطابه النقدي السِّمات الفنيَّة.

المطلب الثاني: نقد المضامين المعرفية.

كان أكثر النقد الذي وجه للقصاص عبر العصور متوجِّهًا للمضمون المعرفي الوعظي، إما توجهًا مباشرًا له باعتباره خطأ وجنوحًا عن الصواب، فهذا هو النوع الأول -كما ستأتي أمثلته-.

وأما النوع الثاني فهو لكونه -مع افتراض صحَّة المضمون- مزاحمًا للمضمون العرفي الصحيح، فقد علَّلَ ابنُ الجوزيّ أن طائفة من السلف كَرِهُوا القَصَصَ لهذا الغرض وهو المزاحمة، فقال: (**ولما كان القصص يشغل في الأغلب عما هو أهم منه من العلم، كره ما يشغل عن العلم خلق من السلف**)[٤٤]، فهو إشكال في القَدْر المتاح للقصص والوعظ وليس إشكالا في وجودِها، فمن غَلَبَ عليه الاشتغال بسماع الوعظ والجلوس في حلقات الوعاظ كان ذلك مؤذِنًا بفواته علومًا نافعة، قال ابن الجوزي: (**أكثر كلام الواعظ الرقائق. فإذا تشاغل الإنسان بسماعها عن الفقه قلَّ علمه**)[٤٥]. وذكر ابن الجوزي أن من أسباب كراهة السلف للوعظ والقص أن (**التشاغل بذلك يشغل عَن المهم من قِرَاءَة الْقُرْآن، وَرِوَايَة الحَدِيث، والتفقه فِي الدّين**)[٤٦].

وأما النوع الأول فمن الإشكاليات المتوجهة لمضمون الخطاب الوعظي لدى ابن الجوزي جنوح هذا الخطاب نحو التعميم دون تحرير المراد، وعدم مراعاة ما تفهمه عقول العامة من هذا الخطاب، فيخرج العامي من المجلس ولا يدرك

(٤٢) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٦٠).
(٤٣) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٢٩٨).
(٤٤) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٤٩).
(٤٥) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٥٤).
(٤٦) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (١٦١).

المراد بدقة، فربما أفضى به ذلك لمخالفةٍ في العمل أو الاعتقاد، يقول ابن الجوزي: (**من القُصَّاص من يأمر بالزهد في الدنيا ولا يبين المراد، ويُدرج في ذلك أخبار المتزهدين، ومن خرج من ماله، ومن كان يطوي أياما ولا ينام الليل ويهرب من الخلق .. ولو أن القاص فَهِمَ، لأخبرهم أن المذموم فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة، وأن النفقة على الأهل واجبة**)[٤٧].

وهذا المعنى في عدم مراعاة عقول العامة أشار إليه الحافظ العراقي فقال: (ومن آفاتهم أَن يحدثوا كثيرا من الْعَوام بِمَا لَا تبلغه عُقُولهمْ، فيقعوا فِي الاعتقادات السَّيئَة، هَذَا وَلَو كَانَ صَحِيحا، فَكيف إِذا كَانَ بَاطِلا؟!)[٤٨].

ومن الإشكاليات المتوجهة لمضمون الخطاب الوعظي لدى ابن الجوزي عدم مراعاة الأولويات والعدول عما يناسب أن يوجه إلى العامة من العلوم والمعارف، والولع بذكر الغرائب، فيقول ابن الجوزي: (ثم إن العوام محتاجون إلى تعريف الفرائض)[٤٩]. ويقول مخاطبًا الواعظ ومحفزًا له لأن يراعي الأولويات ويذكر المهم من العلوم عند العوام: (وليدرج في كلامه أخبار الوعد والوعيد، والتشويق إلى الجنة والتحذير من النار، وليأمر بالمحافظة على الصلاة وينهى عن التواني عنها، وليحث على الزكاة ويذكر الوعيد لمن فرط فيها، وكذلك الحج والصوم، وليبالغ في ذكر بر الوالدين وصلة الرحم، وفعل المعروف، وينهى عن المنكر وأكل الربا، ويعلمهم عقود المعاملات، وليأمر بإمساك اللسان عن فضول الكلام وغض البصر عن الحرام، وليخوف من الزنا، ويذكر الأحاديث الواردة في جميع ما ذكرنا).

ومن الإشكاليات المتوجهة لمضمون الخطاب الوعظي لدى ابن الجوزي المبالغةُ في سوق القصص الواردة عن الصالحين، فمثل هذه القصص حتى مع فرضِ ثبوتها لا يحسن ذكرها في مجالس الوعظ، فربما أدَّت لنتائج معاكسة لمقصود الواعظ، فكانت سببًا في التنفير عن النسك والعبادة، فيقول بأن على الواعظ أن (يذكر من حكايات الصالحين ما يصلح ذكره، فإنه قد ورد عن أقوام من أهل الخير من الحمل على النفوس في العبادة ما لا يحسن، مثل

(٤٧) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٥٢)

(٤٨) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م، (ص١٨٠-١٨١).

(٤٩) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٥٢).

ما يروى أن فلانا عاش ثمانين سنة ما اضطجع)[٥٠]، وهذا نقد مركَّب من أمرين؛ نقد للقصَّة في حال صحة ثبوتها، فإنه لا يحسن للمرء أن يحمل نفسه في العبادة إلى هذا الحد، ونقدٌ لسوقِها على أذهان العامة في حال الوعظ.

(٥٠) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٦٤).

المبحث الثالث

أسباب نقد الوعاظ والقصاص عند ابن الجوزي

المطلب الأول: ضعف الأهلية.

من إنصاف ابن الجوزي رحمه الله واتباعه المنهج العلمي الصحيح أنه ذكر ما للقصاص وما عليهم ثم شرح وجوه ذلك بحسب ما بدا له، فقال: (فلنذكر مَا قيل فِي ذَلِك من مدح، وذم، ولنشرح وُجُوه ذَلِك، مُنهِجينَ[٥١] جادة الصَّوَاب ناهينَ عَن بُنيَّات الطَّرِيق[٥٢])[٥٣].

فمن الأسباب الباعثة على نقد الوعاظ والقصاص لدى ابن الجوزي ضعف أهليتهم وعدم انشغالهم بالتعلم والترقي المعرفي، وهذا يترك أثرًا بالغًا على من يدعونهم، فالعامَّة تتبع في معرفتها وهمتها من تجلس إليه.

فأما إذا كان الواعظ متأهِّلا محصِّلا ولو قدرًا مناسبًا من العلوم مما يحتاج إليه في وعظه، فإنه قد يبلغ نفعه في الناس ما لا يبلغه نفع العالِم، ولذلك يقول ابن الجوزي في بيان ذلك: (لا ينبغي أن يُحتَقَرَ أمرُ الواعظ فإنه إذا كان كامل العلم، صادق القصد عم نفعه، واجتلب إلى باب الله -سبحانه- عددًا زائدًا على الحد ما لا يقدر على اجتلاب عشر عشيره فقيه، ولا محدث، ولا قارىء؛ لأن خطابه بالوعظ للعام والخاص وخصوصا العوام الذين لا يلقون فقيها إلا في كل مدة، فيسألونه عن كلمة، وهذا الواعظ كالرائض لهم يثقفهم ويقومهم ويؤدبهم، فلا يُلتَفَت إلى من أطلق ذم الوعظ)[٥٤].

---

(٥١) موضحين ومبينين.

(٥٢) الطرق الصغيرة التي تتشعب من الجادة.

(٥٣) القصاص والمذكرين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: د. محمد لطفي الصباغ.
الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م (١٥٧-١٥٨).

(٥٤) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٧٠).

ولذلك كان السلف ينهون الواعظ الجاهلَ، وربّما وبّخوه وأغلظوا عليه، فقد أخرج الْمروزِي عَن أبي يحيى قَالَ: مرَّ بِي عَليّ بن أبي طَالب رضي الله عنه وَأَنا أقص فَقَالَ هَل عرفت النَّاسِخ من الْمَنْسُوخ؟ قلت: لَا. قَالَ: أَنْت أَبُو اعرفوني[٥٥].

ولما كثر في الوعاظ والقصاص الجهل وتخلفت فيهم الأهلية كان بعض المحدثين الكبار يتحاشى أن يُسْمِعهم حديثًا، فعن أبي الوليد الطيالسي قال: (كنت مع شعبة فدنا منه شاب رقباني[٥٦] فسأله عن حديث فقال له شعبة: أقاص أنت؟ قال: وكان شعبة سيئ الفراسة فلا أدري كيف أصاب يومئذ قال: فقال الشاب: نعم قال: اذهب فإنا لا نحدث القصاص. قال: فقلت له: لم يا أبا بسطام؟ قال: يأخذون الحديث منا شِبرًا فيجعلونه ذراعا)[٥٧]. وهذا المسلك إن فعله القاص عمدًا فهو قادح في العدالة بلا ريب، وإن فعله بغير عمدٍ -وهذا هو الأظهر- فهو قادح في الأهليَّة.

وقد أشار ابن الجوزي إلى ضعف الأهلية لدى القصاص، فذكر عن بعض الوعاظ والقصاص بأنه (يسمع الأحاديث الموضوعة فيرويها ولا يعلم أنها كذب، فيؤذي بها الناس، وربما سمعها من أفواه العوام فرواها، وربما سمع كلام الحسن أو سري السقطي فقال: قال رسول الله)[٥٨].

وذكر ابن الجوزي أن هذا المجال المعرفي دخل فيه بعض أهل الغفلة فقال: (وقد كان في القصاص مغفَّلون)[٥٩]، وذكر أنه (تعانى بهذه الصناعة جهالٌ بالنقل، يقولون ما وجدوه مكتوبًا ولا يعلمون الصدق من الكذب، وفيهم

(٥٥) تحذير الخواص، السيوطي (١٩٥).

(٥٦) الرقباني: الشديد التمسك بدين الله وطاعته، ويطلق الرقباني على عظيم الرقبة، ينظر: فتوح الغيب، للطيبي (٤: ١٥٦)

(٥٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض (٢: ١٦٤-١٦٥)،

(٥٨) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٠٩).

(٥٩) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٢٢).

كذابون يضعون الأحاديث على ما سبق ذكره. فهم يبيعون على سوق الوقت)[٦٠]. وهذا لقلة الشروط المقتضية للدخول فيها.

وذكر ابن الجوزي حكايات عجيبة عن ضعف أهلية بعض الوعاظ والقصاص مما يَندى له الجبين، فمن ذلك أن واعِظًا سئل: ماذا تقول في المزابنة[٦١] والمحاقلة[٦٢]؟ قال: المحاقلة حلق الثياب عند السمسار، والمزابنة أن تسمي أخاك المسلم زبونًا.[٦٣] وذكر ابن الجوزي أن هذا غالبٌ على عُمُوم القصاص والوعاظ بأنهم (لَا يتحرون الصَّوَاب وَلَا يحترزون من الْخَطَأ لقلَّة علمهمْ وتقواهم)[٦٤].

ومن ضعف الأهلية الذي أشار إليه ابن الجوزي فساد مقاصد بعض الوعاظ، فذكر بأن نيات بعضهم مدخولة، وبأنهم يتخذون القصص والمعاني الإيمانية للتوسل إلى المقاصد الدنيوية، فيقول ابن الجوزي: (أما المقاصد فجمهور القوم يطلبون الدنيا ويحتالون بالقصص والوعظ عليها. وربما امتنع أحدهم من أخذ العطاء تصنعا ليقال: زاهد، ليأخذ أكثر مما ردَّ، وأكثرهم لا يمتنع من أخذ أموال الظلمة. ثم يطلبون وعندهم ما يكفي)[٦٥].

فالمقصود أن ضعف أهلية الوعاظ والقصاص من أبرز الأسباب الباعثة إلى نقدِهِم لدى أهل العلم، ولذلك حينما ساق ابن الجوزي الأسباب التي حملت السلف على نقد الوعاظ والقصاص، قال بعدها: (فَلِهَذَا كره القَصَص من كرهه، فَأَما إِذا وعظ العَالم، وقصَّ من يعرف الصَّحِيح من الفَاسِد؛ فَلَا كَرَاهَة)[٦٦]، وبمثل هذه الجمَل المتكررة في طيَّات خطابه النقدي يتضح مراده وعنايته البالغة بتنقيح الخطاب الوعظي.

(٦٠) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣١٨).
(٦١) وهي بيع التمر على النخيل بتمر مجذوذ مثل كيله خرصا.
(٦٢) بيع الحنطة في سنبلها بحنطة مثل كيلها خرصا.
(٦٣) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٢١).
(٦٤) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (٣٣٦).
(٦٥) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣٣٦).
(٦٦) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (١٦١).

المطلب الثاني: القبول الاجتماعي.

من الأسباب الباعثة على نقدِ القُصَّاص والوُعَّاظ لدى ابن الجوزي هو أنه اجتمع مع ضعف الأهلية سبب آخر جعل العلماء يحملون على الوعاظ، وهو هذا القبول الاجتماعي للواعظ، وتلقي ما يقوله -رغم ضعف الأهلية- بالقبول، فالعوام لا يميّزون بين العالم والجاهل إذا استويا في الصعود على المنبر، فيقول ابن الجوزي عن حال الوُعَّاظ مع العامة: (**اتفق أنهم يخاطبون الجهال من العوام الذين هم في عداد البهائم. فلا ينكرون ما يقولون ويخرجون، فيقولون: قال العالم؛ فالعالم عند العوام من صَعِدَ المنبر**)[٦٧].

بل ذكر ابن الجوزي حالا عجيبة من القبول الاجتماعي للواعظ لدى الناس، وهو كونهم يسألونه عن كلِّ علمٍ، بخلاف من تخصص من العلماء في الفقه أو في الحديث ثم تصدَّر، فقال: (**الفقيه إذا تصدر لم يكد يُسْأَل عن الحديث، والمحدث لا يكاد يُسْأل عن الفقه، والواعظ يُسْأَلُ عن كلِّ علمٍ**)[٦٨].

والإشكال أن وَلَعَ العامة بالواعظ يزداد تدريجيًّا كلَّما كان هذا الواعظ مولعًا بالخروج عن نهج الصواب موغِلا في طلب الإغراب، وقد أشار ابن قتيبة إلى هذا الشأن العجيب من العامة فقال: (**ومن شأن العوام، القعود عند القاص، ما كان حديثه عجيبا، خارجا عن فطر العقول، أو كان رقيقا يحزن القلوب، ويستغزر العيون**)[٦٩].

وكثيرًا ما تستقر هذه الغرائب في أذهان العامة بأكثر وأسرع من استقرار العلم النافع فإن (**علوق الوهميات بالطبائع أشد من علوق الحقائق**)[٧٠]، ولو أنَّ الناس تمسَّكوا (**بالشرعيات تمسكهم بالخرافات لاستقامت أمورهم**)[٧١].

(٦٧) القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (٣١٨).
(٦٨) القصاص والمذكرين، مرجع سابق (١٧٩).
(٦٩) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (٤٠٤).
(٧٠) القواعد، ابن الوزير (١٨٧).
(٧١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح (٣: ٢٣٦).

وهذه على كل حال طبيعة العامة في كل زمانٍ ومكان، فإن (**الحديث لهم عن جمل طار أشهى اليهم من الحديث عن جمل سار، ورؤيا مريّة آثر عندهم من رواية مرويّة، فهذه الخطّة كانت سبب حرمان العلم وتهجين أهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان**)[٧٢]، فالإشكال ليس في وجود هذا الشأن من العامة، وإنما الإشكال في الركون إلى الخطاب الوعظي الذي يغذي هذا الجانب فيهم، ويتحاشى العلم النافع، ولا يلتزم بالثابت من الأحكام، ولا يراعي تفاوت أفهام السامعين، ولا يحرِّر المراد من الخطاب، ثم هو بعد ذلك يحصل له هذا القبول الاجتماعي الذي يفاقم الضرر منه.

فأما مزج العلم النافع بالوعظ الصحيح فهو أصوبُ وأصلحُ للقلب من الاقتصار على العلوم دون سماع المواعظ والرقائق، ولذلك يقول ابن الجوزي ملخِّصًا هذا المعنى: (**رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب؛ إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين. فأما مجرد العلم بالحلال والحرام، فليس له كبير عمل في رقة القلب.. فافهم هذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سببًا لرقة قلبك**)[٧٣]. وهذا يوافق ما ذكره بشر بن منصور حينما قال: (**رأيت من يأتي الفقهاء والقصاص أرق قلبًا ممن لا يأتي القصاص**)[٧٤].

فالحاصل أن من الأسباب الباعثة لنقد الخطاب الوعظي لدى ابن الجوزي وغيره من أهل العلم هو هذا القبول الاجتماعي المقترن مع ضعف الأهلية، مما يجعل الأخطاء أشد ضررًا وأثرًا، وذلك لضعف قدرة العامة عن التمييز، وتلقيهم ما يقوله الوعاظ بالقبول.

(٧٢) البدء والتاريخ، للمقدسي (١:٤).

(٧٣) صيد الخاطر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى (٢٢٨-٢٢٩).

(٧٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م (٦: ٢٤٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بكتابة هذا البحث، وهو المسؤول سبحانه بأن يجعله من العلم النافع، وأبرز نتائج هذا البحث ما يلي:

١) جرت عادة العلماء والمصنفين عطف مفردة الوعظ على مفردتَيْ القصِّ والتذكيرِ، وهي مصطلحات مختلفة في الظاهر لكنها متحدة من جهة المعنى، وتضاف غالبًا إلى قائل واحد.

٢) كان المجال العلمي الذي لا ينازَعُ فيه ابن الجوزي على الإطلاق هو فنَّ الوعظ، وهذه المشاركة الفاعلة في هذا الفن تمنح نقدَ ابنِ الجوزي مكانةً مضاعفة، فهو خبير هذا المجال الذي ينتقده، وليس مجرَّد منظِّرٍ من الخارج.

٣) لم تستأثر طائفة الوعَّاظ والقُصاص بنقدِ ابن الجوزي، فقد كان يتمتع بعقلية كثيرة التأمل عميقة النظر دقيقة الالتقاط حسنة التعبير.

٤) لا إشكال في كون نقد الخطاب الوعظي ظاهرة علمية، تتجلى في كثرة النصوص والمقولات والمصنفات التي تنتقد بشكل مباشر الخطاب الوعظي والقصصي.

٥) من إنصاف ابن الجوزي رحمه الله واتباعه المنهج العلمي الصحيح أنه ذكر ما للقصاص وما عليهم ثم شرح وجوه ذلك وشواهده.

٦) من الأسباب الباعثة على نقد الوعاظ والقصاص لدى ابن الجوزي ضعف أهليتهم وإعراضهم عن التعلم والترقي المعرفي.

٧) من الأسباب الباعثة على نقد القصاص والوعاظ لدى ابن الجوزي كونه انضمَّ إلى ضعف الأهلية وجود قبول اجتماعي للواعظ، وتلقي ما يقوله بالقبول من العامة.

التوصيات:

يوصي الباحث بجملة من التوصيات:

١) العناية بالبحوث التي لها صلة بتصفية الوعظ من الاجتهادات الخاطئة، وذلك لكون الخطاب الوعظي مؤثرًا على العامة، وهذا يوجب العناية للارتقاء به والمحافظة عليه.

٢) النظر في مضامين نقد السلف للوعاظ في زمانهم، ومعرفة مدى إدراكهم لأهمية الوعاظ.

٣) الاستفادة من عقلية ابن الجوزي النقدية، وتقريب خطابه النقدي للطوائف المختلفة.

٤) جمع وتحليل الظواهر العلمية في التراث الإسلامي، وذلك كظاهرة نقد الوعاظ، وذلك للوقوف على مقاصد الخطاب النقدي وتعليلاته.

قائمة المراجع

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ). طبعة دار عالم الكتب.
٢. أصناف المغرورين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، الناشر: مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٣. آفة أصحاب الحديث والرد على عبد المغيث، جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق فريق من الباحثين، دار الألوكة للنشر، الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ، ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م.
٦. تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.
٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٨. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٩. تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

١٠. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

١١. تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

١٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

١٣. جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.

١٤. حاشية ابن عابدين، دار الفكر، الطبعة الثانية: ١٣٨٦هـ.

١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، عام النشر: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

١٦. الحوادث والبدع، أبو بكر الطرطوشي المالكي، ت علي حسن، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ).

١٧. الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة.

١٨. زغل العلم، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: مكتبة الإسلامية.

١٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٠. صيد الخاطر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم — دمشق، الطبعة: الأولى (٢٢٨-٢٢٩).

٢١. القصاص والمذكرين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: د. محمد لطفي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٢٢. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي (٦٣٦ - ٧٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: طارق بن عوض الله، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٣. كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ.

٢٤. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة — السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٥. مفاتح الغيب، الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١م.

٢٦. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٧. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت ١٤٢٩ هـ)، الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة — مصر، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ١٩٩٠م.